الجمهورية العربية المتحدة

لمراسل لاداب الخاص محيي الدين محمد

هموم الشبـاب ...

نستغرب ان يكون في مصر هذا المد الثوري العربي الانقلابي ، وهذه الحركة القومية الكبيرة واسعة المدى ، بدون ان شارك الشباب في هـذا التحول العظيم الذي تكتمل فروعه في ارضنا العذراء .. نستغرب ذلك، بدون ان نستر عليه ، وندعي جهلنا باسبابه ، فقد كنا نحسب مجرد الاشتراك الفكري في انهاض ارضنا ، يحجب الى الابد تلك الملامح الخائبة التي ورثناها عن الملكية السابقة بكل فسادها ، وعطنها .. كنـا نحسب ان الشباب سوف يتسع الى ما اتسعت له افق الثورة .

والشباب في الاقليم الجنوبي يختلف اختلافا كليا وظاهرا جدا عـن الشباب في الاقليم الشمالي او الاردن مثلا ، حيث نلاحظ فـي مستوى شباب المدينة على العموم قوة ذهنية ، ومناقشات على مستوى فكري وقومي كبير ، وحيث نجد ان مستوى الشاب الثقافي العادي يعجز مستوى طالب الجامعة في مصر ..

في البلدان العربية شباب ثائر ، عنيف ، صلب ، وفي مصر شباب تدمره العبثية الى حد مزعج ، لدرجة انه يعتبر مثالية للرجل اللا ثوري . اللامبالي . اللاحماسي . السكوني . اللاواعي .. فهل لذلك مـن سبب ؟ هل هناك تبرير عادل لهذا الانسلاخ الشائن للشباب عـن الرباط الفوراني العظيم الذي يلمنا معا .؟ولماذا كان الاقليم الجنوبي بالـذات مصدرا لهذا النوع العجيب من الشباب ؟

كانت الحياة الحزبية القديمة في مصر احياء لشخصية الزعيم وحسب. بدون ان تكون البرامج الحزبية الدافع الاساسي بالاشتراك في هـذه الجماعة او تلك . فكان الشباب يسجل اسمه في حزب الوفد ، لانـه يحب مصطفى النحاس مثلا ، ولان نظام الاحزاب كان يفترض من العضو ان يشكل طواعية فحسب ، اي ان يكون خادما للشخصية الرئيسية ، يطيع اوامرها العليا ، وينصاع لمقرراتها ، وكانت اللجان السياسيـة تجتمع ، لا لتناقش الوضع السياسي او لتجد حلولا ضمن حدود النقاش ، بل لتنظيم الخطط الرئيسية التي اتفق عليها الزعيم مـع تابعيه ، وبذلك انمحت شخصية الحزب المتفردة ، وضاعت في ملامح هذا التجاوب الرئيسي للمقررات ، التي لم تكن تخرج غالبا عن تنظيـم مظاهرة هنا ، واضراب هناك .. وكان الشباب المتطلع الى القيام بعمل جريء ضد الاحتلال البريطاني،وضدخيانات السراي المتكـررة ، يوافـق على هذه الحلول الصغيرة ، لان الاحزاب الاخرى كانت تتبع نفس الوسائل بسبب من ولائها العظيم للاستعمار ، ومن قدامه الاقطاع الكبير الـذي كان يمثله اولئك (الثوريون!!) انفسهم .. وكان ذلك يعني ان الاقطاع يتفق مع ١. داونتج ستريت ، في سحق اية حركة ثورية حقيقية تريـد القضاء على الاحتلال ، وعلى بؤس الوضع الداخلي جميعا ، وترضى بتحويل هذه الطاقة العظيمة الى امكانية مغلقة ومعطلة ، وفي اللحظـة التي يوشك فيها الوضع بالانفجار ، يسمح للجماهير ان تنفس عـن غضبها ببعض المظاهرات الرسمية !. في حين كانت القيمة الفردية للحزبي الشاب ضائعة في شبكة الفوقانية المركزية التي يضطجع الزعيم فـي اعلاها ، وكانت اشارة منه تعني ان هذه الوسيلة هي الاصوب ، وما عداها عقيم وصبياني

ومنذ كان الاحتلال البريطاني في مصر ، استخدم جهوده واموالـه لشراء الاحزاب نفسها وزعمائها ، وكانت هذه العملية الخيانة المخبوءة ، مجهولة عن عامة الحزبيين ، لان الشرط الاساسي كان اعتمادهم على تقديـر الزعماء للظروف ، ولانهم كانوا يجهلون الخطوط المحددة التي تنتهي بها الوطنية لتبدأ خدمة الاستعمار البريطاني . ولا يجب ان ننسى تفرغ اكبر حزب في مصر ، ومن خلفه تفرغ الشباب لمهاجمة القصر الملكي ، تعميقا لكسب ود الشعب الذي كان يتحول عن الملك لان رائحته الخبيثة فاحت . واذن فقد استعان الاستعمار بالاحزاب ذاتها واشترى سكوتهـا على القضايا الوطنية ، وتحولها عن المطالبة باقصى ما يطالب به برنامج وطني مستقل . ولو كان الشباب المنضم الى هذه الاحزاب ، مسموحـا له بالنقاش الحر ، ورؤية الموقف السياسي على ضوء الخبرة الواعية للامور ، لكان كشفهم لهذه المداراة الخائنة امرا ضروريا ، ولكن الوضع كان على عكس ذلك ، لان الحزب كان ينمي فيهم هذه القدرية والانصياعية، ويربطهم في مجرد التحبيذ والموافقة على اي قرار رئاسي ، وعندما قامت الثورة عام ١٩٥٢ ، واثبتت تعامل الاحزاب جميعا مع الانكليز والسراي ، صدم الحزبي في اعمق احساساته الوطنية ، وفقد ايمانـه القديم بالاشخاص والبرامج والنشاط الحزبي ، وتوجه الى مجـرد الرفض ، والانغلاق على نفسه ، فلا مشاركة في بناء او نقاش او تدعيم، لان المرض القديم اخذ يستيقظ فيه من جديد ، وذلك لان اللاديموقراطية التي يعيشها ، وازنت اللاديموقراطية القديمة ، في حين ان الاشكال جميعا ، يقع في مجرد وعيه بالمطالبة بحقه في المناقشة والرفـض والاستفهام .. ما ان احس بالصدمة حتى تقيح خراجه الازلي ، واقنعه بالسكوت .. في حين كانت محاولة الوقوف ضد الضربة كمينة بان تفرض جوا من الديموقراطية . ولا بد ان ندرك ما اوقع مصر الجغرافي من اهمية بالنسبة للاحتلال ، وما اداه ذلك من ضغط شديد وفظيـع على مقدمات الانفجارات الشعبية ، لدرجة سحقها في يومين اثنين ... كان الشباب مربوطة عيونه على البنادق ، ونظرات التربص التي تلصقها به عيون الاحتلال ، ولانه لم يشعر ابدا منذ الفراعنة باي قسط مـن الديموقراطية الحقيقية ، فقد ادى به ذلك الى الرضى بالانسحاق ..

نسبة الامية في الاقليم الجنوبي حادة للغاية والشباب الذي ذكر كحزبي هو شباب المدينة فقط . اما الاخرون الذين يشكلون الاغلبيـة في القرى والبنادر والاقاليم ، فان المجهود الزراعي يستنزف قواهم ، ويلاشي نشاطهم القومي ، وفي ايام الاحزاب القديمة كانت الانتخابات تجري كما لو تجري بين البهائم . فكان المكلف بالاحصاء يحشر الريفيين من القرى الى البندر ، ويميزهم بعلاقات فاضحة ، او باختام في راحات اليد ، وكان السذج يقدمون اصواتهم في المكان الذي عين لهم ، ويقفلون راجعين الى قراهم ، واخالهم كانوا يموتون ضحكا في سرهم على هـذه الغفلة الحكومية ، والبله الوزاري ، فما قيمة كل هذا ..؟ وما الـذي يعود عليهم من ذلك ؟!.

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وكان ذلك يعني ان الوزارة التي تشرف على الانتخابات ، او الوزارة التي تلتها الوزارة الانتقالية التي تنظم الانتخابات ، هي التي تكتسح بدون شك ، لانها لاتترك الحكم بدون ان تضمن بواسطة هذه الوسائل القذرة وما اليها ، عودة سريعة اليه .. كانت الانتخابات تزيف ، لان الشعب الفقير المسكين ، لايعرف الالف من الواو .. ولا يهمه بالتالي مقدم وزارة سعدية او دستورية مادامت حياته تظل كما هي ، نفس القذارة ، ونفس هموم الربح الصغير ، والدورة والرعب من الاقطاعي .. نظام الرعب في مصر بنوعيه يعتمد اعتمادا كبيرا على توفر اليد العاملة ، والاشتراك في اعمال التنقية والقلب والحرث والبذر والري والجني ، والفلاح الفقير لايستطيع ان يؤجر الشغيلة لذلك ، والا ما وجد في النهاية كسبا يبقى له ، واذن فالوسيلة المثلى لذلك هي انجاب الاطفال بكثرة ، على امل ان يكبر هؤلاء فيساعدوه في عمله الضخم الذي يتطلب منهم جميعا جهودا فائقة .. واغراء المدرسة والكتاب لايجد اذنا صاغية لدى الريفي ، فما يهمه ان يرى اولاده افندية محترمين .. بقدر مايهمه ان يكسب مايقيم اوده ، وأود أسرته .. ومن هنا كانت الهجرات من الريف الى المدينة لاتقوم بها سوى الاسر المتوسطة ، او الثرية بدرجة تسمح لها بالنزوح ، وحتى ارسال الشباب المتعلم الى الجامعة في القاهرة لم يكن يقوم به الا الطبقة الوسطى .

اما الريفي الحقيقي فقد كان يسمح لابنائه ان يتلقوا قسطا من التعليم يكاد يفي بحاجة الارض ولا يتجاوزها . فهو تعليم ليس ثوريا بقصد تحويل الذهن بقدر ما هو تعليم اقليمي بقصد التوعية في النوع ذاته، وذلك يعني ان المعلومات التي يعرفها الشاب في الريف تزاد من حيث الكم ، ولا تحول من حيث النوع ..

اذن ، كانت فئة الشباب في الريف أمية للغاية ، لاتتتبع المشاكل السياسية التي يخوضها الوطن ، وتترك للحزبي في المدينة هذه المهمة وكان الانموذجان خائبين ، لدرجة ان فرية فذرة اساسها ان الشعب المصري كان مستواه المعيشي اعلى بكثير ايام الاحتلال عنه في ايام الاستقلال ، لم تجد من الانموذجين الوعي والحماس لابراز خطئها ، وصد هذا التيار العدمي المفلس ... كان الوضع في الريف والمدينة يسير على عكازين .. ولم يكتف الاحتلال بذلك ، اذ دبر مؤامرة كبيرة ، كما يفعل الان في مراكش بالمناداة بالقومية المراكشية ، دبر مؤامرة تبغي القضاء على جذور القومية العربية في مصر ، بدوام الاعلاء من شأن الامبراطورية الفرعونية ، والكتابة في الصحف والمجلات عن دور الحضارة الفرعونية ، وكان الاحتلال يلقى من فئة معينة كل تشجيع على هذا الدور . فئة كانت تظن انها السلالة الاصلية للفراعنة (1).. كان الاستعمار يشجع ذلك بغية عزل القطر المصري عن بقية الحركة الهائلة العظيمة في البلاد العربية ، وكانت هذه الحركة منفصلة عن وعي الشباب ، بسبب من فقدانهم الامل في الديموقراطية ، وبسبب من هذه العزلة القيادية التي عاشوها طيلة اعمارهم .. في حين كانت القومية العربية في الخارج تنادي وتكافح هذا الاغراق المتعمد بطريق احزاب جدية واعية عربية تكشف القضية العربية وتعريها ، وتحاول مد الحركة داخل القطر المصري ..

ومنذ الثورة المصرية اخذ مفهوم القومية العربية يقوي فروعه وجذوره في الارض المصرية ، على اساس المنطلق العربي كوحدة ، وليس على اساس السيادة الفرعونية ، ولا يجب ان ننسى ان هذا التحويل ليس نتيجة بث من أعلى ، بقدر ما هو نتيجة تأمل في واقع الوجود العربي ، وفي واقع الارض العربية ، نشأ جديا بعد التآزر العربي العظيم ازاء نكبة فلسطين ـ عندما اقول العربي لا اعني الحكومات الخائنة ـ بل ان هذا الواقع الضخم اخذ يبرز بشدة بعد الخيانة الملكية الهاشمية والخيانة الملكية المصرية والعراقية ، على عكس ما كان متوقعا .. وكان ذلك يعني ان قضية العرب اصبحت في النهاية شاغل القطر المصري الاساسي ...

كانت الثورة تقاوم في الخارج والداخل اعداء متربصين ، وما ان قامت حرب بور سعيد ، حتى هب العرب في كل مكان ، كأن جسدا واحدا قد اوذي في عضو معين ، وأحس المصريون ان وراء هذه الحركة العجيبة شيئا اكبر من مجرد التآزر .. وان هذا الشيء بسبيله الى البروز رويدا رويدا ، وكان ذلك يعني ان على الشباب ان يجمع الخيوط في يديه وان يتقدم الصفوف في هذه الحركة العربية الكبرى.

(1) نلاحظ في جريدة لهذه الفئة وجدت اخيرا ، انها تهتم بالفرعونية الدرجة انها اتخذت بشكل سافر ، رمزا فرعونيا ، تم لون العلم المصري القديم !! وكنا نحسب الامر بدعة ، لو لم تظهر هذه الدعوة السامة في شكل مقالات حذرة ماكرة .. ان هذه الفئة لم تفهم المعنى الحقيقي للقومية العربية ومدى بعده عن المناداة بأي ارتباط بين القومية والدين.

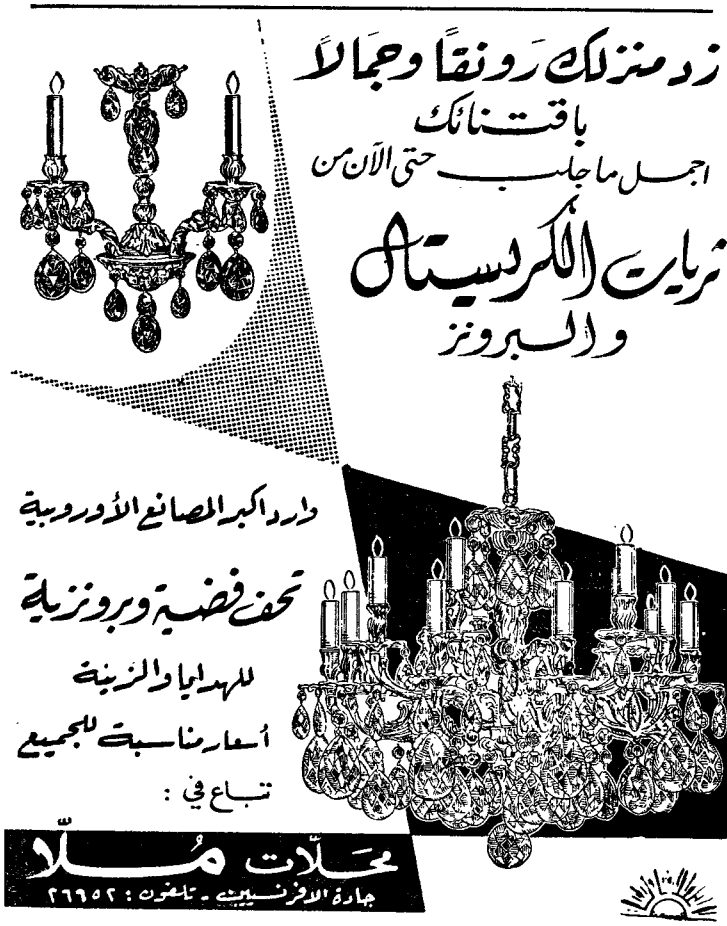

غير ان واقع الامور انقلبت على ام رأسها .. اذ كانت هناك مؤامرة عظيمة مرسومة بأقصى ماترسم به رغبة عالية في تحطيم قدرات شعب بعينه ، من الدقة والنظام . كان الاحتلال الاجنبي بالرغم من مع الملك ـ الاقطاعي الاول ـ ومع الوزارة ، التي يشكل رجالها الطبقة الثانية للاقطاع ، ومن خلفهم كانت الطبقة الثالثة للاقطاع في صورة الاحتكاريين والاسرات التركية والمصرية القديمة ، كان هؤلاء يدبرون بالاتفاق مع ظروف الشعب المصري اخس مؤامرة تبغي القضاء على وجوده وكرامته ..

كان الشعب وحيدا ضد هذه القدرات العظيمة التي تعمل كي يظل الاقطاع والنظام الفاسد والاحتلال آلهة ابدية للشعب ، في حين ان سببا عظيم الخطر كان يشكل ، بصورة باطنية ، داعيا عظيما الى الجمود ، والى السكون ، فمنذ ٢٥٠٠ سنة لم يحكم القطر مصري صميم مطلقا ، بل كانت السحنات الاجنبية هي التي تتوالى وتضطجع فوق كراسي المملكة ، وكان الشعب يحس بهم كأنهم فعلا (آلهة أبدية) لايمكن تغييرها فما عاشوا وما عاش أجدادهم،ولا آباؤهم في ظل ظروف اكثر مصرية ابدا.

كل هذه الاسباب التي تؤلف مايمكن تسميته انعدام الثقة في الذات وبالتالي في اية حركة ثورية او تقدمية كانت تهصر زيت هذه الحيوات الشابة ، وتمتصه وتلفظه قشا يابسا لاحياة فيه ..

ومنذ ثورة الجيش على الملك والنظام الفاسد ، لم يعن الشباب بالاشتراك الفعلي المسؤول في مباشرة ماكان يظنه باقيا في يد الاحتلال والملك الى الابد . كان يخشى مغبة المطالبة باستعمال حقه وارادته ، في حين كانت الثورة مشغولة عن اشراكه ، بتنظيف ما أسمته الروتين الداخلي لنظام الحكم القديم ..

واخذت السنوات تمر ، وظل الشباب يتراجع ـ لان الوضع لم يكن نظيفا كفاية في عرف الثورة كي تعطيه حريته ـ اخذ الشباب يتراجع خطوة خطوة الى الوراء بتأثير الاف الاطنان من الشكوك والمصائب الثقافية والاجتمعية والاسرية التي عاناها في حياته جميعا .

ان هناك اسبابا اخرى لهذا المرض الشبابي ، وهي اسباب نفسية صغرى . فحياة الشاب المصري في المدينة حياة صغيرة وتافهة ، لان كثرة الملاهي تمتص رحيق حياته ، ولان ليالي ام كلثوم واسعة الانتشار ، بما فيها من حشيش وخمر تقدم الى الشاب المتخم امكانيات ، متعة بسيطة تغمر ارادته في الخدر (الرائع ..) ، وكثرة المقاهي بما فيها من نرد وطاولة ، واجتماعات على مستوى التهريج ، تكسر فيه حدة الوعي، وتحوله الى طلب الهدوء والسكون . ويؤازر ذلك من القلب ، مستوى الجريدة والاذاعة المتدنيين . فالبرامج التهريجية في الاذاعة والجريدة يلقيان القبول ، ويشجعان المشتري ، فيعود الكسب العظيم على الجريدة ، فتتمادى في ذلك .. وليذهب الوعي والتطور والثورية الى جهنم ..

وهناك سبب خفي ، لا أزعم انه عظيم الخطر ، وان كان يشكل مادة عصية على التبديل ، ذلك هو حس الشعب العربي في مصر بالنكتة ، فما اعرف شعبا يماثله في طريقة التنكيت السياسي والاجتماعي والنفسي ، وذلك لان طول العهد بالاستعمار ، اشعره بوجوب المقاومة في أية حدود ، فكانت السخرية بهذه الدول وبرؤسائها ـ ولو رمزيا ـ والسخرية بالحكام المصريين ، دافعا على تفريج الاسى المختزن في باطنهم ، والالم الذي يكتسح كل شيء في احشائهم ..

وكان هذا التفريج وازاحة الهم ، يبلدان الارادة ويسحقان العمل ، وذلك لان الدافع على الثورة قد ازيح عن طريق النكتة والسخرية ، وهذا لا يعني ان الوعي كان مفقودا ، فالنكتة تصبح الوعي بالذات .. لاحظت الثورة هذه السكونية السياسية في الشباب ، فحاولت ان تخلق وان تكون جيلا من نوع جديد ، ولما كان الشباب مزروعا فوق المقاهي بدون حراك ، حاولت الدولة ان تهيىء له دافعا مغريا يمكنه ان يواجه اغراء المقاهي ، فاتجهت ـ بدون بحث ـ الى النقيض . الى منتهى الحركة والنشاط : الى الرياضة البدنية .. !!

والمصيبة ان هذا « الدواء » يعتبر داء جديدا ، وفي هذه المرة لاسبيل الى الحد من تكاثره وتضخمه .. فليس المفروض ان ننشىء جيلا بعضلات ثيران ، بقدر مانتطلب جيلا واعيا ذهنيا ، مفكرا ، مناقشا مفتح العينين . والشباب الذي يبدأ بالرياضة البدنية لاينتهي الا بها ، فما المقصود من ذلك .؟! اهو الاقتناع بالحكمة الخاطئة « العقل السليم في الجسم السليم .. » والذي يعكسها الى النهاية هذا التيار العظيم من الابدان المريضة التي انتجت لنا معظم اكتشافاتنا واختراعاتنا وروائعنا الرياضية والعلمية والادبية ؟. ان هذا النداء الاسطوري لخلق اجساد جميلة يجب ان يقاوم بشدة ، على امل ان نجر المقاومة الى الاعتراف بضرورة الاهتمام الاول بالعقل والثقافة والتحرر الفكري والسياسي والاجتماعي ..

اذا كان هذا هو واقع الشباب في مصر ، فواقع طلبة الجامعة اشد اظلاما ، فهناك على الاقل تبرير للجهل العام عند الشباب ، اما عند طلبة الجامعة ، فما هو التبرير على مستواهم المنحط ..؟!

في كلية الاداب مثلا ، وهي الكلية التي كنا نحسبها الارض الطبيعية لتخريج مفكرينا الادباء ، وعي يبلغ من الانحدار مبلغ الوعي في الشارع بأتفه مستوياته : نفس التلاشي في الهزيمة والسكونية واللا مبالاة ، نفس التسطح الاخلاقي ، والانكباب على الملذات الرخيصة ، والمتع التافهة .. فلماذا كان الوضع في اعلى ، متفقا مع الوضع في اسفل ، بكل التباين والتناقض الكيفي ـ افتراضيا بالطبع ـ بينهما .؟!

ان المشكلة اساسا ، هي مشكلة التأهيل للشباب ، واستصلاح الارض لانباتهم الطبيعي ، فطالب الثانوية يظل طالبا بدون مستقبل ، حتى يصل

صدر حديثا
الحلقة الثانية
من كتاب
سبعون
بقلم الاديب الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمه
الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

الى نهاية هذه الفترة ، فيصبح عليه ان يجد مستقبله فجأة . عليه ان يتحول الى القسم الادبي او العلمي او الرياضي ، وهذه تحدد الكلية التي يلتحق بها الشاب . وينتهي الامر عند هذا القرار المفاجيء العجيب ، والذي قد يحوله اختيار صديق مخلص الى الانضمام للادبي او العلمي ، فيتحول الشاب في ضغط الاخلاص والوفاء الى هناك ، وينتهي كل شيء !!

والدراسة في كلية الاداب ـ بفروعها ـ دراسة تعتمد على حشر المعلومات في دماغ الطالب ، ولا تعتمد على ذوق الشاب وقراءاته الخارجية وتعتمد بالدرجة الاولى على القدرة العظيمة من حيث الانصياع لكل كلمة وجملة ورأي وخبر وشاهدة يذكرها الاستاذ المحاضر . وأي رأي اخر يعتبر ضلالا ، ويسبب الرسوب للطالب ، ففي القسم الانكليزي من كلية الاداب يتنافس استاذان تنافسا خطيرا للغاية ، يمكنه ان يسمم اذهان الطلبة كلية ، فأحدهما الدكتور رشاد رشدي ، معجب غاية الاعجاب بالشاعر الانكليزي المعاصر « ت.س. اليوت » ولا تخلو محاضرة من محاضراته عن ذكر ابيات له ، او تقييم لنظريته النقدية . اما الدكتور المقابل له فهو العيوطي ، الذي يتجاهل اليوت ويرفضه كلية ، ولو كانت هذه العداوة تفسر لتعصب الاثنين لخلفية فكرية او نظرية لكان التعصب لاغبار عليه ، ولكن الواقع انه انشقاق سببه الوحيد ، التنافس على كرسي الاستاذية ، ورئاسة القسم ..! النتيجة لذلك هو انشطار طلبة اللغة الانكليزية الى قسمين احدهما يعضد اليوت للنهاية ، والاخر يسفه اراءه ويحتقره للنهاية ايضا .. وفي الدنيا الثقافية الاف من الشعراء العظام والاف من النظريات النقدية والفنية والجمالية ، والاف من الافكار والعقائد التي تستاهل البحث والمناقشة .. في الدنيا الاف الشعراء والروائيين والنقاد ، اما عند طلبة اللغة الانكليزية ، فهناك توماس ستيرنز اليوت ، والعيوطي .. فحسب .!!

ان ذلك يعني ان الوعي ناقص من حيث العمق والتشرب لمغزى الثقافة الحقيقية ، وناقص من حيث المساهمة بخلق انموذج متفرد للشخصية الدارسة ، وناقص من حيث الديموقراطية الفكرية في الجامعة..ومستوى التدريس يؤهل الطالب بالحصول على وظيفة مدرس او مذيع او كاتب صغير ، لان المقرر وحسب هو الذي يراعى الاختبار فيه . اما القراءة الخارجية فمرفوضة بشدة ، لان ذلك يعني فتح ابواب للريح امام الاساتذة ، ويعني ايضا ضياع التحدد في الدروس من وجهة نظر الاساتذة ، وجهودا مضاعفة من وجهة نظر الطلبة .. فما جدوى الانفتاح على القضايا ، ومناقشة افكار اخرى .؟ والمصيبة ان الدائرة تدور ، فالطالب الان هو المدرس غدا ، والطالب غدا هو المدرس بعد غد ، والمقرر هو هو ، والنظام المدرسي هو هو ..! ولا يجب ان ننسى ان الاستاذ المدرس هو الممتحن في الاختبار الشفوي ، وبين يديه امكانية قادرة قصوى بسحق الطالب المسكين وعدم تفويته ..! ان الوضع في كلية الاداب طبيعي للغاية اذا حاولنا مقارنته بمستوى الطلبة الخريجين .. ويقولون في الامثال ، والحكمة الشعبية غالبا ماتصيب : وماذا ينتج الخباز ، غير الخبز ..؟!

فلو كانت الدولة القديمة عابثة بقدرات الشباب هذا العبث كله ، بما يتبع ذلك من تحطيم لمعنوياته وروحه ، فذلك لان سببا خيانيا من ورائه الاحتلال والاقطاع ، كان يدفع بالسلطات الى قهر الثورية في شبابنا ، وتعطيله .. كان هناك دافع معين من وراء هذا الارتواء بدم السكونية في الشباب كان هناك حصن فاضح على ذلك ..

اما الان .. وفي هذا الطوفان الثوري الذي يمد اذرعه المقدسة في الارض العربية كلها ، مايمنع الدولة ان تفهم مشاكل الشباب وان تضع تخطيطا سديدا وحكيما لهذه الاطر المدمرة التي تعطل الامكانيات المختزنة فيه ، وتمنعها عن مواصلة فعاليتها ووجودها .؟ ما يمنع الدولة ان تبدأ فورا بازالة هذه المقاهي السامة المنتشرة بالملايين في عاصمتنا وقرانا، بدون اي مسوغ على الاطلاق .؟ ما يمنع الدولة ان تقوم بالغاء النرد والطاولة من المقاهي كمقدمة لالغاء معظم المقاهي ذاتها .؟! وماذا يمنع الدولة من الضغط الشديد القاسي على تجارة الحشيش التي مازلنا نرى شبابنا يدخنونه في السر والعلانية .؟ ان الحدود بيننا وبين البلدان المنتجة لهذا السم الفظيع ، ليست بالامتداد ولا بالتعرج الذي يفترض من رجال الحدود ان يتقاعسوا وان يكسلوا ، فالارض مسطحة ، والشواطىء مسطحة كذلك ، فاذا كان هناك رجال للحدود مكلفون بهذه المهمة ، فمن اين يأتي الحشيش والافيون بهذه الكثرة المحيرة ، لدرجة اننا نجد اطفالا يتاجرون فيه ؟! لماذا لاتقوم السلطة ـ كما فعلت السلطة في الصين بالنسبة للافيون ـ بضربة قاضية على هذا الوباء الجهنمي ، فتنتهي بشكل حاسم من هذا المرض المدمر الذي يسحق حيويتنا ، ويلوننا بهذا اللون الخامل الضعيف ، الواهي القدرات ... لماذا لاتبدأ الدولة هذه الحرب ضد هذا الاخطبوط الذي يميت شبابنا ويتعسه ..؟!

دار الثقافة ـ بيروت

تقدم

اكبر واوسع سلسلة في الادب الاندلسي

المكتبة الاندلسية ـ الكتاب الاول :

فن التوشيح

للدكتور مصطفى عوض الكريم

قدم له ـ الدكتور شوقي ضيف

دراسة اولى من نوعها في فن التوشيح

طباعة انيقة ـ ورق ممتاز

٣٠٠ صفحة من القطع الكبير الثمن ٣٠٠ ق.ل

الكتاب الثاني

تاريخ الادب الاندلسي

« عصر سيادة قرطبة »

للدكتور احسان عباس

تطلب جميع هذه الكتب من الناشر دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣ بيروت ـ تلفون ٣٠٥٦١ وعموم المكتبات

ومن جهة اخرى ، ولاسباب تتعلق بهذه الفورة العارمة التي تحياها ارضنا ، ولان طابنا الملح بالعيش النظيف ، وتوفر الحياة الحرة الكريمة يوجب ان نضحي بقليل من الترف الذهني الذي نعيشه ، يجب على الدولة ان تنتشل جهاز الاذاعة من الوهدة التي يغوص فيها ، وان تمنع بسلطتها وبحق هذا التحول الذي نرجوه ، هذا الموت المريع الذي نسمعه صباح مساء . هذا الخوار المتصل الصادر من حناجر صدئة للغاية ، لاتفهم الغناء ولا تفهم الموسيقى .. ولا تفهم سر الصلة بين الوتر والقلب ..!

اننا اذا اردنا التحول ، فاما ان نعمل له كلية وبشكل جذري وعميق ، واما وجب ان نغلق افواهنا وان نعود الى حياتنا القديمة صامتين ... فالتطور ليس هذرا ، وليس مشكلة بسيطة . انه تغيير شامل للارض وما عليها .. تغيير للناس والمعاملات ، وللنفسية ، وللروابط ، ولكل شيء .. افندرك ذلك ..؟!

لماذا نلاحظ موت السجلات الادبية ، وموت معارض الرسم ، وموت المنتديات الثقافية ، لماذا نلاحظ ذلك بدون ان نفسره وان نحاول تغييره .؟ لماذا نغطي عيوننا عندما يصبح الامر امر معالجة ودرس وتعليم.؟

المد الثوري الراهن في مصر العربية ، يفترض ان يسهم الشباب بكل قدراته وبكل انطلاقه في هذه العملية الجذرية التي تتاصل في واقعنا شيئاً فشيئا ، والا وضح هذا الانفلاق العصبي في كياننا ، حين تميل القمة في تقدمها الى الامام ، وتظل القاعدة في ثبوتها ، فتنذر البناء كله بالتحطيم .. ان اشتراك الشباب في عبء الحياة السياسية في وطنه واشراكه في المنتديات الثقافية والقومية ، ونشر الفكرة العربية في اوساط المدارس والكليات .. كل ذلك يسهم بتنشئة جيل على مستوى كبير من حيث الوعي والصرامة الاخلاقية والنفسية .. ولكن ذلك لن يكون مؤكدا اذ لم يصحب هذه المعالجة المبدئية ، ارادة شاملة بتطوير مقدرات المجتمع نفسه الذي يحيا فيه المواطنون .. اذ ان كل عوامل الفساد القديمة مازالت تنشر خبثها وسم سمومها في ارضنا .. والا فقولوا لي ، ماهو الفرق الكيفي بين الجهاز الاذاعي ايام الملك ، وبينه الان ، الا اذا عددنا الاناشيد الثورية فارقا كيفيا .؟! ماهو الفارق بين الجريدة ايام الاستعمار ، والجريدة المعاصرة للثورة العظيمة .؟!

ان ذلك يعني ان القائمين بأمر الجريدة والاذاعة لايعرفون على التحديد معنى ان تنقلب الامة من منتهى الاقطاع الى الاشتراكية ، لايعرفون معنى ان يتحول الذهن من الخنوع الى التحرر ، ومن العبودية الى السيادة .. فاذا كانوا هم ـ المفروض فيهم ان يشرفوا على تحويلنا ـ يحتاجون مثل هذا التحويل ، فلماذا اذن يظلون في اماكنهم القيادية الخطيرة .؟ لماذا يبقون مشرفين على التوجيه الفكري لبلادنا .؟!

ان كل العناصر التي كانت تبلد اذهان الشباب في الماضي ، مازالت تعمل عملها في تبليد اذهان الجيل الجديد ، وسحق ارادته وشلها ،وبهذه الكيفية لايمكن حتى افتراض ان نؤمل بتغيير شامل على مستوى عميق ، يهدي شبابنا ويطوره . واذن فشيء من اثنين : اما ان تدرك الدولة ذلك فتغيره في اسرع وقت ، وذلك يسير على طاقتها الثرية الهائلة ، واما ان تترك الامر في يد الفوضى والروتين والتقليدية ، وفي هذه الحالة لايمكن ان نقول بان الثورة قد منحت عطاءها الكامل للشعب ، مادام الشباب المعاصر ، هو نفسه العطالة القديمة ..

وشيء اخر اود ان اوضحه لدلالته الخطيرة ، في هذا الاهتمام الجدي بتحويل الشباب جميعا الى مليشيا ؟ فليس المطلوب شبابا حسن الجسم بليد الذهن ، كشباب القمصان السوداء والزرقاء والرمادية ، في المانيا وايطاليا واسبانيا ، ليس المطلوب رجالا يستجيبون ويسيرون في خطوات عسكرية ، بل رجالا ثوريين بمنتهى مايعني ذلك من وعي وحدة ذهنية وعقائدية ، شبابا يضعون وجودهم وغرامهم وحقدهم وكراهيتهم في خدمة الشعب والارض ، ويقدمون للامة انضر مايمكن لهم ان يقدموه من خدمات فكرية رشيدة واعية وانقلابية ..

وبالطبع لايعني ذلك ان نكف عن استعداداتنا العسكرية لمواجهة الخطر الجاثم في ارضنا ، بل يعني ان تدرك الدولة مغبة هذا التحويل شبه الكلي للشباب الى جنود .. ولو كان الوعي موجودا ، لكان تحويلهم مطلوبا بشدة ..

ان مانريده هو ان نغير حياتنا وارضنا ، وفهمنا للحياة والارض .. وذلك يعني مدا ثوريا مصاحبا في طريقه تربية الجيل الجديد ، وفي مناهجه الدراسية ، وفي مجتمعه واسرته ومحيطه ...

ولن يمكننا ان نفعل ذلك بدون ان تكون هناك خطة مدروسة عميقة الاثر ، شاملة المفعول ، تضعها الدولة وفي ذهنها ترميم الشخصية العربية المصرية ، وتوصيلها الى منتهى ما وصلت اليه الشخصية الثورية الثابة في مطلق التاريخ ..

القاهرة — محي الدين محمد

للمرة الاولى يتاح لمتذوقي الشعر الصافي وعشاق الادب المهجري ان يروا شعر ايليا ابي ماضي منشورا نشرا انيقا ، صحيحا ، كاملا ، في دواوينه التي نشرتها دار العلم للملايين :

١ ـ تبر وتراب (لم ينشر قبل الان)

٢ ـ الجداول — طبعة منقحة

٣ ـ الخمائل — طبعة منقحة

في جميع المكتبات

دار العلم للملايين

النشاط الثقافي في الوطن العربي

العراق

تلقينا من عدد المفكرين العراقيين الاحرار البيان التالي

ان النظام الارهابي الذي يسود العراق اليوم ، على يد قاسم واعوانه من الشيوعيين العملاء ، قد ادخل شعب العراق ، بل الشعب العربي عموما في محنة فكرية خانقة ، بالاضافة الى المحن المادية الاخرى . فان من بين المتهمين الابرياء في حادث اغتيال قاسم الشاعر العربي الحر محمد جميل شلش والصحفي جعفر قاسم حمودي ، وتفص المعتقلات بعدد كبير من رجال القلم والادب في العراق منهم الشاعر العربي المتحرر بدر شاكر السياب والشاعران المعروفان علي الحلي وعصام عبد علي والاديبان عبدالله نيازي وفؤاد قزانجي . وشرد قاسم ايضا عددا اخر من الكتاب الاشتراكيين الاحرار منهم فيصل حبيب الخيزران وعبد الستار الدوري وعلي الصالح والدكتور سعدون حمادي وحازم جواد ، والقى في سجونه الصحفيين المعروفين قاسم حمودي وفيصل حسون واغلق صحيفتهما « الحرية » واعتقل فاضل شاكر واغلق صحيفته « الحياد » وطارد المحامي فالح المجول وحجز امواله لانه كان يرأس تحرير المجلة العربية المتحررة (كل شيء) واغلق جريدة « الشرق » واعتقل صاحبها محمد العاني ، ونفى من بغداد طه الفياض صاحب جريدة الفجر الجديد واغلق ايضا صحيفة « المواطن العربي » لصاحبها عبد الملك البدري وصحيفة « بغداد » واعتقل صاحبها خضر العباسي. وشرد ايضا المجاهد العربي الشاعر نعمان ماهر والشيخ محمد محمود الصواف صاحب جريدة الاخوة الاسلامية ، كما تستر قبل ذلك، على الهجوم الوحشي الذي دبره الشعوبيون العملاء على جريدتي اليقظة لصاحبها الصحفي المعروف سلمان الصفواني و « الحرية » لصاحبها قاسم حمودي المرتهن حاليا لدى سلطات قاسم. وزج بالاضافة الى ذلك كله عددا من المفكرين واساتذة الادب منهم الدكتور سليم النعيمي والدكتور عبد الستار الجواري والدكتور شاكر مصطفى سليم والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور محمد ناصر وعدد اخر يبلغ عشرات من احرار الفكر والادب في العراق .

وبذلك فرض نظام قاسم القيود على الفكر المتحرر في العراق ، وحاول ان يكبح اعظم قوى الاشعاع الانساني ، ليجعل من الادباء والمفكرين العراقيين دمى مسخرة ، تنعدم فيها الطاقات الخلاقة ، والصفات الابداعية الحية .

فالادب العربي في العراق ، الذي ناضل نضالا طويلا من اجل الغاء العزلة الروحية التي فرضتها عهود الاستعباد والتمزيق : هذا الادب الذي ما كف يوما عن مقارعة الانحلال الروحي ، والانهزامية الخلقية ، والذي عاش في انسجام مطلق مع امال الشعب الذي يستمد وجوده منه : هذا الادب الذي حاول ، ومازال ، ودم الاستشهاد يرشح منه ، ان يعبر اصدق تعبير عن ازمة الصراع العربي الراهن يعاني اليوم افجع ضرب من ضروب الطغيان والتسخير .

انه يعاني اليوم على يد صغار الكتبة والزيفين العملاء ، ابشع خيانة لرسالته الانسانية التي تتمثل في انتزاع الفكر العربي ، وبالتالي الانسان العربي من هاوية الخدر والجمود .

واننا اذ نسجل هذه الحقيقة بما تنطوي عليه من عنصر مؤلم فاجع، نعلن عن ايماننا بصواب وجهة تاريخنا العربي الذي عبر دوما عن اعظم التجارب الانسانية القيمة ، وعن ايماننا بان الضراوة المادية الرخيصة لا يمكن ابدا أن تدك صرح البناء الفكري الشامخ الذي عزم الشعب العربي على اشادته مستمدا ارادته في ذلك من تاريخه وحضارته النابضين بالقوة الثرة التي لا تنضب .

اننا نؤمن بان كفاح الادباء الاحرار في هذه المرحلة العصيبة من تاريخنا ، ينبغي ان تكون رصيدا ابداعيا لانشاء ذواتنا من جديد ، على الاسس الثورية التي صممها شعبنا العربي الباسل في كل صقع من اصقاع الوطن الواحد .

اننا نؤمن بان القوى العمياء التي اطلقها الشعوبيون العملاء في العراق ، لا يمكن باي حال ان تحرف وجهة نضال الطليعة المفكرة من ادبائنا الاحرار في العراق ، وليس بوسعها ان ترسم لها الحدود بل ستظل هذه الطليعة ماضية في طريقها الانساني ، تتفجر ابداعا حرا ، وخيرا اسمى ، وهي في عناقها المكين ، مع الشعب العربي الذي ربط نفسه باعظم مصير ينتظره .

فالادباء العرب في العراق ، لا يمكن ان ينقطعوا عن فعالياتهم المنتجة، بل ان الازمة الروحية التي يمرون بها اليوم ، قد تكون باعثا لهم على الولوج في وثبات متحررة حيوية اخرى ، من اجل الا يخونوا رسالتهم الانسانية الرفيعة : رسالة شعبهم العظيم ، تماما كما فعلوا بالامس .

فاننا باسم طليعة الادباء الاحرار في العراق ، الذين كتب عليهم الصمت الموقت ، نرفع اصواتنا باستنكار ما يعانيه الفكر من مسخ وتشويه في وطننا العزيز ، كما نعلن بان السبات الفكري الذي يحاول قاسم واعوانه بفرضه على الفكر العربي الانساني المتحرر لا يمكن ان يدوم . فالاديب في العراق لا يمكن ان يتحول الى جثة يائسة عقيمة مجدبة ، بل سيظل امينا على التزاماته حيال شعبه الذي بدأ يصوغ عالمه الجديد اليوم .

فالى ادباء العراق ! وادباء العرب جميعا !

الى احرار الفكر !

الى الفنانين الاحرار !

نبعث بندائنا هذا لنؤكد عزمنا واياهم على الوقوف حتى النهاية بجانب قضية الفكر العربي في مرحلة المعاناة التي يمر بها شعبنا اليوم !

سنقف جميعا حتى الاستشهاد بجانب اقدس قضايا شعبنا التي تجسدت في نضاله البطولي الراهن !

عاش الشعب العربي الباسل !

عاش الفكر العربي المتحرر !

وليخسأ الى الابد الطغاة الجزارون والمزيفون العملاء !

عبد الهادي الفكيكي — شفيق الكمالي — هلال ناجي

عدنان الراوي — محيي الدين اسماعيل